رسائل تلّغرافيّة
(٤)

ضَرْبَةُ غَوَّاصٍ
في مَعَالِمِ فِتَنٍ
يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا

بَلَّغَهُ

ابن الكيال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلَّا علىٰ الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، **أما بعد:**

● أُمة الإسلام جُعل عافيتها في أوَّلِها:

فقد روىٰ مسلم في «صحيحه» (١٨٤٤) من حديث عبد اللَّه بن عمرٍو قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ في سَفَرٍ فنزلنا منزلًا . . . إذ نادىٰ منادي رسول اللَّه ﷺ فقال: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال: «**إنَّه لم يكن نبيٌّ قَبْلِي إلَّا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمَّتَه علىٰ خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم، وإنَّ أُمَّتكم هذه جُعِلَ عافيتها في أوَّلِها، وسيُصيب آخرَها بلاءٌ وأمورٌ تنكرُونها، وتجيءُ فتنةٌ فيُرَقِّق** -وفي رواية- **فَيَدْفِقُ بَعضُها بعضًا، وتجيء فتنة فيقول المؤمن: هذه مُهْلِكَتِي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمَن أحبَّ أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنّة فلتأْتِه مَنِيَّتُهُ وهو يؤمن باللَّه واليوم الآخر، وليأْتِ الناس الذي يحب أن يُؤتَىٰ إليه. . .**» الحديث.

قال أبو العباس القرطبيّ في «المُفهم لما أُشكِل من تلخيص كتاب مسلم» (٤/ ٣٩-٤٠):

«قوله ﷺ: «**إنه لم يَكن نبيٌّ قَبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أُمَّتَه علىٰ خير ما يعلمه لهم**»؛ أي: حقًّا واجبًا؛ لأن ذلك من طريق النصيحة والاجتهاد في التبليغ والبيان.

وقوله: «**وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أوَّلها وسيُصيب آخرَها بلاءٌ وأمور**

تُنكِرُونها»؛ يعني: بأوَّل الأمة زمانه وزمان الخلفاء الثلاثة إلىٰ مقتل عثمان، فلمَّا قُتِل عثمان ماجت الفتن كموج البحر، وتتابعت كقطع الليل المظلم، ثمَّ لم تزل ولا تزال متوالية إلىٰ يوم القيامة.

وعلىٰ هذا: فأوّل آخر هذه الأمة المعني في الحديث: مقتل عثمان، وهو آخر بالنّسبة إلىٰ ما قبله من زمان الاستقامة والعافية؛ وقد دلّ علىٰ هذا قوله: «**وأمور تنكرونها**»، والخطاب لأصحابه ﷺ، فدلّ علىٰ أنّ منهم من يُدرِك أوّل ما سمَّاه آخرًا وكذلك كان.

وقوله: «**وتجيء فتنة فَتَدْفِقُ بعضها بعضًا**»، والدَّفْق: الدَّفع، ومنه: الماء الدافق، ويعني: أن هذه الفتنة كموج البحر الذي يَدْفِقُ بعضه بعضًا.

وشبَّه المؤمن في هذه الفتن بالعائم الغريق بين الأمواج، فإذا أقبلت عليه موجة قال: هذه مهلكتي، ثم تروح تلك فتأتيه أخرىٰ «**فيقول: هذه هذه**» إلىٰ أن يغرق بالكُلِّية، وهذا تشبيه واقع، ورواه أكثر الرواة «**فيُرَقِّقُ بعضها بعضًا**»؛ أي: يُسَبِّبُ بعضها بعضًا، ويشير إليه به.

وقوله: «**يُزَحْزَحَ عن النار**» يُنحَّىٰ عنها ويُؤخَّر منها.

وقوله: «**وليأت إلىٰ الناس الذي يحب أن يُؤتىٰ إليه**»؛ أي: يجيء إلىٰ الناس بحقوقهم من النّصح والنّية الحسنة بمثل الذي يحب أن يُجاء إليه به، وهذا مثل قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدُكم حتىٰ يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه**» [رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)].

والناس هنا: الأئمة والأمراء، فيجب عليه لهم من السمع والطاعة والنُّصْرة والنصيحة، مثل ما لو كان هو الأمير لكان يحب أن يُجاء له به». اهـ

● **قلت**: فهذا الحديث العظيم الرهيب هو ما يُناسب واقعنا وحالنا، ويصف ما فيه من هذه الفتن العظام التي تَمُرّ بها الأمة الإسلامية، لاسيّما ثورة يناير وما

ترتّب وتفرّع عليها من أمور وشئون جليلة، كخلع مبارك، والبدء في بناء سد النهضة، وما ترتب عليه من المفاسد العظام علىٰ مصر، ثم تفشي وانتشار الجماعات الإرهابية وتغلغلها في البلدان العربية ومصر، ثم ما كان من حكم الإخوان والسَّنَة السوداء التي حكموا فيها البلاد، وإخراجهم للمجرمين الإرهابيين الذين سجنهم مبارك ثم خرجوا وكانوا مساعدي محمد مرسي؛ كالزمر، ومحمد الظواهري، والكثير غيرهم، ثم ما كان من انتشار التفجير والتخريب علىٰ حدود البلاد وفي العريش وسيناء، واستهداف أفراد الجيش والشرطة والقضاة والنائب العام، واستهداف الوزراء وغير ذلك من الفساد والمكائد التي استهدفت مصر وأهلها، والرغبة في إفشال مشاريعها ومؤسساتها والنَّيْل منها، وانتشار القنوات الإعلامية الإخوانية في تركيا وقطر لهدم مصر حفظها اللَّه تعالىٰ، ونشر الإرهاب والرعب في قتل الأبرياء وتفجير القطارات وما كان من البلاء والفتن، وما كان من بلبلة الأمور لإحداث الفتن الطائفية بتعمّد تفجير الكنائس، وقتل الأبرياء العُزّل وإحداث الاضطراب، والرغبة في تخريب الاقتصاد وحدوث الهزهزة الأمنية في البلاد بسبب الإفساد في الأرض بعد إصلاحها، ثم رغبة إثيوبيا في الإضرار بحصّة مصر من نهر النيل، وهذا خطب عظيم وشأن جسيم يؤدي -لا قدَّر اللَّه- لجوع المصريين وعطشهم وإظلامهم، وتوقف زراعاتهم ومصانعهم وأعمالهم، وهي رغبة عارمة في إهلاك مصر والمصريين، فكلها فتن يرقق بعضها بعضًا، وأُغْرِق المصريون في أمور جليلة.

● ثم كان ما كان من الوباء والبلاء وشأن كورونا، ونعوذ باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن، التي هزهزت وزلزلت الكرة الأرضية حتىٰ أصابت فتنتها كل الدول أجمعين، وانتشر وباء الكورونا السقيم الخبيث في البرّ والبحر، بما كسبت أيدي الناس.

• **روىٰ مسلم في «صحيحه» (١١٨) من حديث أبي هريرة**: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**».

قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٣٠١):

«ومعنىٰ الحديث: الحثّ علىٰ المبادرة إلىٰ الأعمال الصالحة قبل تعذّرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي الرجل مؤمنًا ثم يصبح كافرًا، أو عكسه؛ وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب». اهـ

• **قلت**: كما حدث بعد ثورة يناير بالدعوات إلىٰ هدم دين الإسلام ونقض عُراه وشعائره، وظهور العلمانية والليبرالية، والدعوة إلىٰ تسفيه الدين كتابًا وسُنة، والطعن في سنن رسول اللَّه ﷺ وفي البخاري ومسلم والإجماع والقرآن وأدلة الأحكام، وأصول الدين وثوابته، ومن يدعو إلىٰ الإلحاد جهارًا نهارًا كمن يَسْخر من آيات القرآن والطعن في كل أئمة دين الإسلام ورموزه، كالأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وهذه رغبات أعداء اللَّه ورسوله في انسلاخ المسلمين عن دينهم، ولو حدث هذا لهلكت الدنيا والدين، وظهر الفساد في البر والبحر، وأصابتنا سيول البلاء والوباء والفتن والويلات والأزمات، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

وهذا أعظم وأخطر الأمور والأحوال علىٰ الإطلاق وبها تفسد البلاد والعباد.

• ولقد فصّل رسول اللَّه ﷺ أسباب الهلاك والنجاة فقال في هذا الحديث: «**وإنّ أمتكم هذه جُعِلَ عافيتها في أوّلها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها**».

• **فقد رویٰ مسلم في «صحيحه» (٢٥٣١) من حديث أبي موسیٰ الأشعري عن** رسول اللَّه ﷺ قال: «**النجوم أَمَنةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتیٰ السماء ما تُوعد، وأنا أمنةٌ لأصحابي فإذا ذهبتُ أتیٰ أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنةٌ لأمّتي، فإذا ذهب أصحابي أتیٰ أُمّتي ما يوعدون**».

• **وروىٰ الترمذي في «سننه» (٢٦٧٦)، وصححه، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٩) وصححه، ووافقه الذهبي** عن رسول اللَّه ﷺ قال: «. . . **فإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

ومع هذه الأحاديث، فقد أضحىٰ هؤلاء يطعنون طعنًا فاجرًا في أصحاب رسول اللَّه ﷺ رغبةً منهم في هدم الكتاب والسُّنة، ووجه ذلك: أنّ الطعن في الحامل طعن في المحمول بلا مرية بإجماع أهل العلم والعقلاء سلفًا وخلفًا إلىٰ يوم القيامة، والحَمَلة هم أصحاب رسول اللَّه ﷺ، والمحمول هو الكتاب والسنة، وهم المفسرون للكتاب والسُّنة والمبيِّنون لمراد اللَّه ورسوله من القرآن والأحاديث النبوية، وهذا هو الخطب الجسيم العظيم الجلل.

• **قال الإمام البربهاري أبو محمد الحسن بن علي بن خلف المتوفىٰ (٣٢٩هـ) إمام أهل السنة والجماعة في عصره في كتابه الجليل العظيم: «شرح السنة» (ص٧٧-٧٨) فقرة (١٠٨-١٠٩):**

«واعلم أن الدين العتيق ما كان من وفاة رسول اللَّه ﷺ إلىٰ مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان قتله أوّل الفرقة وأوّل الاختلاف، فتحاربت الأمة وتفرّقت، واتّبعت الطمع والأهواء والمَيْل إلىٰ الدنيا، فليس لأحدٍ في شيءٍ أحدثه مما لم يكن عليه أصحاب رسول اللَّه ﷺ أو يكون رجل يدعو إلىٰ شيء أحدثه من قبله من أهل البدع، فهو كمن أحدثه، فمن زعم ذلك أو قال به فقد ردّ السنة وخالف الحق

والجماعة وأباح البدع، وهو أضرّ علىٰ هذه الأمة من إبليس.

ومن عرف ما يترك أصحاب البدع من السُّنة، وما فارقوا فيه فتمسّك به، فهو صاحب سُنة وصاحب جماعة، وحقيق أن يُتَّبع وأن يُعان وأن يُحفظ، وهو ممن أوصىٰ به رسول اللَّه ﷺ». اهـ

فأصحاب رسول اللَّه ﷺ و﵃ هم من اتبعوا رسول اللَّه أوائل هذه الأمة وأئمتهم ودعامتهم ونجاتهم، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

- **مَن الذين أُمرنا بأخذ العلم عنهم؟**

فلا نجاة إلا بالرجوع إلىٰ الأصول والثوابت التي قامت عليها الدنيا والدين والعلم.

- **روىٰ الدارمي في مقدمة «سننه» (٩٦)، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٣٦)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٦٢) عن ابن شهاب الزهري قال:**

«الاعتصام بالسُّنة نجاة، والعلم يقبض قبضًا سريعًا، فنعش العلم ثبات الدنيا والدين، وذهاب العلم ذهاب ذلك كله».

وفي رواية (١٦٣): «وذهاب ذلك كله ذهاب العلماء».

أقول: من هم العلماء؟ أقول:

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦٠].

• **رویٰ أبو عمر بن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٩٦٧) المختصر، عن قتادة بن دعامة السدوسي التابعي الإمام المفسر في هذه الآية:** «أصحاب محمد ﷺ».

ورویٰ عن مجاهد (٩٦٩) قال: «العلماء أصحاب محمد ﷺ».

ورویٰ عن ابن مسعود (٦٩٣): «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول اللّٰه ﷺ».

• **ورویٰ (٩٧١) عن ابن عباس ﵄** في قوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: «هم الذين هاجروا مع محمد ﷺ».

ورویٰ الإمام الأوزاعي (٧٠٠) قال لبقية بن الوليد: «يا بقية! العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عن واحد منهم فليس بعلم».

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٩٦٨):

«وكان الأوزاعي يُحدّث عن ابن المسيّب أنه سُئل عن شيء فقال:

«اختلف فيه أصحاب محمد ﷺ ولا رأي لي معهم».

قال ابن وضّاح: «هذا هو الحق».

فقال أبو عمر بن عبد البر: معناه: أنه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم جميعًا». اهـ

وعليه، فإنه يؤخذ العلم الآن ممن سار علىٰ هديهم.

• **ورویٰ الآجري في «الشريعة» (١٤٦)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٣٤) عن عمر بن عبد العزيز أنه قال:**

«سنَّ رسول اللّٰه ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها اتباع لكتاب اللّٰه، واستكمال لطاعة اللّٰه، وقوة علىٰ دين اللّٰه، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدىٰ بها فهو مهتدٍ، ومن استنصر

بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولّاه اللَّه ما تولّىٰ وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا».

فهذا الكلام من الخليفة الراشد الإمام عمر بن عبد العزيز أخذ به أئمة هذا الدين من بعده، وفيه اتباع سنة الرسول والخلفاء الراشدين الأربعة هو الخلاص والنجاة والفوز العظيم، ومن خالفها ولّاه اللَّه ما تولّىٰ.

- **وكذلك قال ابن مسعود فيما رواه الآجري في «الشريعة» (٢٠٣٨):**

«من كان مُسْتنًّا فليستنَّ بمَنْ قد مات، فإن الحيّ لا يؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرّها قلوبًا، وأفضلها علمًا، وأقلّها تكلّفًا، قوم اختارهم اللَّه لصحبة نبيّه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا علىٰ الهدىٰ المستقيم».

قلت: وهذا خلاصة النجاة والأمر السليم المستقيم، وكل من اهتدىٰ بهديهم ومنهجهم وأخلاقهم وعقيدتهم، فهو الذي يؤخذ منه العلم.

- **وقال الإمام الأوزاعي فيما رواه الخطيب البغدادي (٨) في «شرف أصحاب الحديث»:**

«عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإيَّاك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول؛ فإنّ الأمر ينجلي وأنت علىٰ صراط مستقيم».

قلت: وقوله: «فإن الأمر ينجلي»؛ يعني: تزول الفتن ويُدفع البلاء والمصائب والمفاسد والوباء، وأنت بسبب كونك علىٰ سنة رسول اللَّه ﷺ والخلفاء الراشدين ينجلي الأمر ولا يضرّك شيء وللَّه الحمد والمنّة.

وكذلك قال الإمام الأوزاعي (٣١٥) فيما رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»:

«اصبر نفسك مع السُّنة، وقف حيث وقف القوم، وقلْ بما قالوا، وكفّ عما كفّوا، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يَسَعُك ما وَسِعَهُمْ».

● فهذه آثار السلف الصالحين العالِمِين الذين يعلمون تأويله، أهل الحل والعقد والاستنباط والعلم الحق، وعلىٰ هديهم وسيرهم ونهجهم تستقر الشئون وتستوي الأمور، وتستقيم الدنيا والدين، وتذهب الفتن وتنجلي، وهؤلاء هم الغواصون في بحار الفتن، وبهم تنجو الأمة من الهلاك.

● كيف وصف خبير الفتن صفة الفتنة؟

هذا ما رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٤٤٧) عن حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل ﷛، أعلم الصحابة بالفتن كما قرره أصحاب رسول اللّٰه ﷺ قال:

«أما تعرف دينك يا أبا مسعود؟! قلت: بلىٰ، قال: فإنها لا تضرّك فتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل فلم تَدْرِ أيهما تتبع، فتلك الفتنة».

قلت: فإن أصل الفتن: الجهل وعدم العلم بالكتاب والسنة، وبمراد اللّٰه ورسوله ﷺ، والتفقه في الدين، وهو معرفة قواعد الإسلام، ومقاصد الشريعة والقواعد الكلية، فإن التقصير والخلل في هذه الكليات وعدم الإلمام بها هو أصل الفتن.

● **لذلك قال عمر بن الخطاب ﷛ فيما رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٦٨٥):**

«أيها الناس، إنه قد سُنَّت لكم السنن، وفُرِضَتْ عليكم الفرائض، وتُرِكْتُم علىٰ الواضحة، إلّا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالًا».

قلت: والضلال أصل الفتن ودعامتها، وهو شقيق الجهل.

• **كما رویٰ الترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، من حديث العرباض بن سارية** وفيه: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قد تركتم علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلَّا هالك**».

• كيف بيّن عليّ بن أبي طالب وعمر وابن مسعود رضي الله عنهم أسباب الفتن والبلاء؟!

روىٰ عبد الرزّاق في «المصنّف» (٢٠٧٤٣) في كتاب الفتن عن سُليم بن قيس الحنظلي قال: خطب عمر فقال:

«إنّ أخوف ما أخاف عليكم بعدي، أن يؤخذ الرجل منكم البريء فيؤشر بالمنشار كما يؤشر الجزور، ويشاط لحمه كما يشاط لحمها، ويقال: عاص، وليس بعاص»، فقال عليّ وهو تحت المنبر: ومتىٰ ذلك يا أمير المؤمنين؟! أوَبما تشتدّ البلية، وتظهر الحمية، وتُسبىٰ الذرية؟! وتدقهم الفتن كما تدق الرحىٰ ثفْلها، وكما تدق النار الحطب؟! قال عمر: ومتىٰ ذلك يا عليّ؟! قال: إذا تُفقه لغير الدين، وتُعُلّم لغير العمل، والتمست الدنيا بعمل الآخرة».

وروىٰ عبد الرزاق (٢٠٧٤٢) عن ابن مسعود قال:

«كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم بها الكبير، يتخذها الناس سُنة، إذا تُرك منها شيء قيل: تركت السنة» قالوا: ومتىٰ ذلك يا أبا عبد الرحمن؟! قال: «إذا كثرت جهالكم، وقلّت علماؤكم، وكثرت خطباؤكم، وقلّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم وقلّت أمناؤكم، وتُفُقّه لغير الدين، والتُمِست الدنيا بعمل الآخرة».

• بيان تأثير الفتن على عقول الرجال:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩١٧) عن حذيفة بن اليمان قال:

«ما الخمر صرفًا بأذهب بعقول الرجال من الفتنة».

- **علامة من أصابته الفتنة وتغيّر بها:**

روىٰ ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٤٩٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩٠٨) عن حذيفة بن اليمان خبير الفتن قال:

«إن الفتنة لتعْرض علىٰ القلوب، فأيّ رجل أُشربها نُقط علىٰ قلبه نقط سود، وأيّ رجل أنكرها نُقط علىٰ قلبه نقطة بيضاء، فمن أحبّ أن يعلم أصابته الفتنة أم لا، فلينظر، فإن رأىٰ حرامًا ما كان يراه حلالًا، أو يرىٰ حلالًا ما كان يراه حرامًا فقد أصابته».

قلت: وهذا من أقوىٰ علامات المفتونين، فاحرص علىٰ هذا الضابط الموضّح المبيّن للفتن.

- **وروىٰ ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٨٨٩) في كتاب الفتن عن علي بن أبي طالب قال:**

«إني أنا فقأت عين الفتنة، إن الفتنة إذا أقبلت شبَّهت، وإذا أدبرت أسفرت، وإنما تحوم الفتنة كحوم الرياح، يصبن بلدًا ويخطئن آخر، فانصروا أقوامًا كانوا أصحاب رايات يوم بدر ويوم حنين تُنْصَروا وتؤجروا، ألا إنّ أخوف الفتنة عندي عليكم: فتنة عمياء مظلمة، خصّت فتنتها وعمّت بليّتها، أصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ من عمي عنها، يظهر أهل باطلها علىٰ أهل حقها؛ حتىٰ تُملأ الأرض عدوانًا وظلمًا، وإنّ أوّل من يكسر غِمْدَها ويضع جبروتها، وينزع أوتادها، اللَّه ربّ العالمين».

فإذن! ليس لها من دون اللَّه كاشفة، والكاشفة بتقوىٰ اللَّه والأعمال الصالحة، وامتثال الأمر واجتناب النهي، والوقوف عند حدود اللَّه فلا تعدُّها، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، والسمع والطاعة لأولياء الأمور، والسعي الحثيث في إصلاح العباد والبلاد، ما استطعت إلىٰ ذلك سبيلًا، فإن دين

الإسلام قائم علىٰ الدعامة الأم والأصل الكليّ: «**جلب المصالح ودفع المفاسد**»، ثم المضي قدمًا لكل خير وفلاح للنفس وللغير، وللناس أجمعين، ولا يكون ذلك كذلك إلّا بمثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، وهي شريعة الفرقة الناجية.

- **التثبّت في الفتنة:**

قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [٦٦-٦٨].

فهذه ضوابط الثبات الهادي إلىٰ الصراط، وهو قائم علىٰ السمع والطاعة للّه وللرسول ﷺ، وهذا قِوام الدين كلّه.

وروىٰ ابن ماجه في «سننه» (٣٩٥٧) في كتاب الفتنة، باب: التثبت في الفتنة، عن عبد اللّه بن عمرو، عن رسول اللّه ﷺ قال: «**كيف بكم وبزمان يوشك أن يغربل الناس فيه غربلة، وتبقىٰ حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم فاختلفوا وكانوا هكذا؟!**» -وشبّك بين أصابعه- قالوا: كيف بنا يا رسول اللّه؟ قال: «**تأخذون ما تعرفون، وتَدَعون ما تُنكرون، وتُقبلون علىٰ خاصّتكم، وتَذَرون أمر عوامّكم**»، والحديث رواه أبو داود في «سننه» (٤٣٣٤)، وعلّقه البخاري بصيغة الجزم حديث (٤٨٠)، وبيّن ابن حجر وصله في «الفتح».

هذا ما أوصىٰ به ابن ماجه في التبويب علىٰ هذا الحديث، يعني: بما وعظ وأمر به النبي ﷺ في هذا الحديث يكون التثبيت.

هذه معالم ومنارات وعلامات يهتدي بها من أراد الخروج من الفتن والبعد عنها والتخلص والنجاة منها، ومعرفة أسبابها وتجنّبها، والعمل علىٰ ما يدرأها ويدفعها عن النفس والغير بالتعلم والتعليم، وذلك بالدعوة إلىٰ اللّه علىٰ بصيرة وعلم وفقهٍ وفهم ووعي وإدراك وتصوّر صحيح مستقيم.

- **خاتمة الرسالة: أمة مكعومة على رأس حجر فأنجاها اللَّه:**

فقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

روىٰ الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٢٤) رقم (١٥٨٤٥) عن قتادة بن دعامة السدوسي أنه قال في تفسير هذه الآية:

«كان هذا الحي من العرب أذلَ الناس ذلًّا، وأشقاه عيشًا، وأجوعه بطونًا، وأعراه جلودًا، وأبينه ضلالًا، مكعومين علىٰ رأس حجر بين الأسدين فارس والروم، ولا واللَّه ما في بلادهم يومئذٍ من شيء يُحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيًّا، ومن مات منهم رُدِّي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، واللَّه ما نعلم قبيلًا من حاضر أهل الأرض يَوْمئذٍ كانوا أشرّ منزلًا منهم، حتىٰ جاء الإسلام فمكَّن به في البلاد، ووسّع به في الرزق، وجعلهم به ملوكًا علىٰ رقاب الناس، وبالإسلام أعطىٰ اللَّه ما رأيتم، فاشكروا للَّه نعمه، فإن ربكم مُنْعِم يحب الشكر، وأهل الشكر في زيد من اللَّه». اهـ

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

واللَّه من وراء القصد، وهو يهدي السبيل، وللَّه الأمر من قبل ومن بعد، وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ نبيّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

بلَّغه

الفقير

ابن الكيَّال